تأصيل عقيدة التوحيد بالدليل العقلي عند النصارى

د. محمود دادو

كلية الشريعة بجامعة حلب
الجمهورية السورية

ملخص البحث:

تُعدُّ قاعدة التوحيد القاعدة الأهم في جميع الديانات السماوية؛ لأن وجودها في أي دين سماوي يمثّل دليلاً على اتساقه في منظومة الديانات السماوية الموحّدة من ناحية، وسلامة أصوله من العبث والتحريف من ناحية ثانية.

ولقد سارت رسالة السيد المسيح عليه السلام – أثناء وجوده في الأرض – ضمن المسار التوحيدي، لكنه ما أن رُفع إلى السماء حتى بدأت أيدي المحرفين تمتد إلى أصول الديانة، ليغيب الأصل التوحيدي لها، فيصبح السيد المسيح – باعتقاد أتباع النصرانية – إلهاً ومخلصاً للبشرية وفادياً لها بموته على الصليب، وقد تم تقرير ذلك في مجمع نيقية سنة 325م، وليكتمل إطار الثالوث المقدس بإقرار ألوهية الروح القدس في مجمع القسطنطينية سنة 381م، فانصهرت معالم التوحيد المسيحي ليبرز الثالوث النصراني، وتحولت ديانة السيد المسيح الموحدة إلى نصرانية مثلثة، لذا ينبغي البحث في أصالة قضية التوحيد في المسيحية لنستطيع فهم التراكمات التاريخية التي أخرجته عن هذا الإطار.

حاول الباحث في هذا البحث إثبات الأصل التوحيدي للمسيحية بالأدلة العقلية.

الكلمات الدالة: التوحيد، التثليث، المسيح، الروح القدس.

:**Summary**

The rule of monotheism is the most important rule in all monotheistic religions. Because its presence in any heavenly religion is evidence of its consistency in the system of monotheistic religions on the one hand, and the integrity of its origins from tampering and distortion on the other hand. The message of Christ, peace be upon him - while he was on earth - walked within the monotheistic path, but as soon as he was raised to heaven, the hands of the writers began to extend to the origins of the religion, so that the monotheistic origin of it was absent, so that Christ - according to the belief of the followers of Christianity - became a god and savior for humanity and a redeemer for it With his death on the cross, this was decided in the Council of Nicaea in 325 AD, and the framework of the Holy Trinity was completed by the recognition of the divinity of the Holy Spirit in the Council of Constantinople in the year 381 AD. The features of Christian monotheism fused to highlight the Christian Trinity, and the unified religion of Christ turned into a triangular Christianity. The issue of monotheism in Christianity, so that we can understand the historical accumulations that took it out of this framework. The researcher in this research attempted to prove the monotheistic origin of Christianity with rational evidence.

Key words: monotheism, trinitarianism, Christ, the Holy Spirit.

أولاً: المقدمة:

تمثل الكتب المقدسة معينا لا ينضب من الأفكار والتصاوير والمعاني والدلالات، ولا يوجد مثقف ولا كاتب ولا شاعر لم يستمتع بالإبحار في الكتب المقدسة باعتبارها ميراثاً مشتركاً لكل البشر، ومن المعلوم أن أحد أهم العقائد التي ترتكز عليها الديانة النصرانية المعاصرة هو الاعتقاد بألوهية السيد المسيح عليه والسلام، وألوهية الروح القدس، وهذه العقيدة تشكل أحد الاختلافات الأساسية بين النصرانية والإسلام؛ فكما يعلمنا الإسلام أن المسيح لم يكن إلا عبداً مخلوقاً لله عز وجل ورسولاً نبياً كسائر الأنبياء من قبله، في حين تقرر العقيدة النصرانية أن المسيح هو شخص الابن من الذات الإلهية (الوحدة المؤلفة من ثلاثة أقانيم)، الذي تجسد وصار بشراً وجاء إلى هذا العالم بصورة إنسان.

والمطالع للكتاب المقدس يُصاب بالذهول عندما يجد عشرات الإعلانات المبثوثة في الكتاب المقدس والتي تؤكد وحدانية الله تعالى، وأن الله تعالى ليس له شريك، وأن المسيح ابن مريم ما هو إلا رسول من رسل الله إلى بني إسرائيل دون أن يمتاز بأي صفة تجعل منه إلهاً ومعبوداً، وكذلك الروح القدس، فقد خلا الكتاب المقدس عن الإشارة إلى ألوهيته، لذا فقد أردت البحث في قضية التوحيد عند النصارى مستعيناً بالأدلة العقلية لتتضح أصالة العقيدة التوحيدية في المسيحية.

ثانياً: أهمية البحث:

من المهم في ظل حالة التعايش مع أهل الكتاب والتي نعيشها في أيامنا هذه أن يُقدم طلبة العلم على دراسة مواضيع مما يتصل بالعقيدة النصرانية بغية كشف الشُبه وإيضاحها، كما أن موضوع البحث يتناول قضية التوحيد بالتأصيل، هذه القضية التي هي لبُّ الديانات السماوية، وإنا لنجد عند النصارى فلسفة خاصة حول هذا التوحيد، وقد انتهى بهم الأمر إلى التثليث، فحاولوا أن يجمعوا بعبارة واحدة بين التوحيد والتثليث، فلا بد من دراسة هذه الفلسفة لا سيما أنها تتصل بالمحور الأساسي الذي تدور عليه الأديان السماوية بأكملها وهو الإيمان بإله واحد.

ثالثاً: أسباب اختيار البحث:

1- أن قضية التوحيد والتثليث كانت ولا زالت **محل اختلاف كبير** بين المسلمين والنصارى على مر العصور وطال كلام أئمة المسلمين وردودهم على قضية التثليث والبنوة والصلب والفداء.

2- **الانتشار الواسع** للديانة النصرانية في أرجاء المعمورة وامتدادها على بقعة جغرافية كبيرة تُمثل بهذا الامتداد ديانةً هي من أوسع الديانات امتداداً في العالم.

3- ومما يدعو إلى دراسة هذه القضية **انتشار دعوات التبشير** ومدارسه على نطاق أوسع مما كان عليه في أي عصرٍ مضى، وما نراه من دعم يتجه لهذه الحركات بالمال وتأمين الدعاة وتجنيد العقول لخدمة الكنيسة وتحقيق أهدافها.

رابعاً: مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في **الاختلاف الحاصل بين مفهومي التوحيد والتثليث**، حيث يزعم النصارى أن المفهومين متحدان مفهوماً مختلفان ماصدقاً، لكن العقل يحكم باختلافهما في المفهوم والماصدق، وقضية التثليث من حيث إنها تُشكل الركيزة الأساسية في العقيدة النصرانية فإنها لا مبرر عقلي لها ولا يمكننا أن نفهمها كما يزعم النصارى أنهم يفهمونها.

خامساً: الدراسات السابقة:

تعددت الدراسات حول مسألة التوحيد والتثليث في النصرانية، ومن أهمها:

1- الله واحد أم ثالوث، تأليف: محمد مجدي مرجان.

2- أقانيم النصارى، تأليف: أحمد حجازي السقا.

3- الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه، تأليف: أحمد عجيبة.

وجميع الدراسات السابقة **كثيرة الفائدة** في تفنيد مزاعم تعدد الآلهة وتبيان بطلانها، لكنها لا تشفي العليل فيما يخص قضية أصالة التوحيد؛ لأن دراسة هذه القضية يتم عن طريق **محاور متعددة**، هي: تفنيد ألوهية السيد المسيح وتفنيد ألوهية الروح القدس وتفنيد عقيدة التثليث، فالدراسات سابقة الذكر **ركّزت على ناحية أو ناحيتين** مع هذه المحاور وأهملت الثالثة، **ولم تستوفِ** كذلك **الأدلة العقلية الكافية** لدحض الشبهات، وقصّرت كذلك في **عرض التمهيد الملائم** لوضوح الأفكار محل البحث.

وسوف يكون عملي في هذا البحث هو الاعتماد على المعلومات الواردة في الدراسات سابقة الذكر وما يماثلها، والاتيان بالتمهيدات الملائمة لوضوح الأفكار وسرد الأدلة العقلية الكافية لنقد الشبه وجمع المحاور الثلاثة التي توصلنا إلى أصالة التوحيد في المسيحية.

سادساً: المنهج المعتمد في البحث:

المنهج المعتمد في البحث هو **المنهج التحليلي والمنهج النقدي**، فقد أوردت الشبه المثارة حول قضية التوحيد والمفاهيم اللاهوتية النصرانية التي أُلحقت به، وكذلك قضية بنوة السيد المسيح وألوهيته وألوهية الروح القدس، ثم **حلّلت** المعلومات الواردة فيها، ثم عرضتها على **المنهج النقدي** من المنظور الإسلامي.

سابعاً: أهداف البحث:

يهدف البحث إلى ما يلي:

1- الكشف عن الأصل التوحيدي للديانة المسيحية.

2- تفنيد الشبه التي يلحقها النصارى بمفهوم التوحيد ويخرجونه بذلك عن مضمونه النقي.

3- بيان بطلان عقيدة الثالوث المقدس عند النصارى.

4- إيضاح الاختلاف الجوهري بين التوحيد والتثليث.

ثامناً: خطة البحث:

ينقسم البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وهي مرتبة كما يأتي:

- مقدمة: وذكرت فيها أهمية البحث وأسباب اختياره وأهدافه والمنهج المعتمد والدراسات السابقة وخطة البحث.
- **تمهيد:** ذكرت فيه نظرةً عامةً إلى تاريخ النصرانية وعقائدها.
- **المبحث الأول:** دعوى ألوهية السيد المسيح عليه السلام.
- **المبحث الثاني:** دعوى ألوهية الروح القدس.
- **المبحث الثالث:** الثالوث المقدس.
- **خاتمة:** ذكرت فيها النتائج المستنبطة والتوصيات المقترحة.

تمهيد (نظرة عامة في تاريخ النصرانية وعقائدها)

لما بلغ عيسى بن مريم من العمر ثلاثين عاماً نزل عليه الوحي بكتاب الله (الإنجيل) مصدقاً لما بين يديه من التوراة، ومؤيداً لصحيحها، ومبيناً لما حُرِّف منها ومبشراً برسول يأتي من بعده أسمه أحمد، وقام يدعو بني إسرائيل إلى دين الحق، ومعلوم أن قطب الرحى في دعوة هذا النبي الكريم وأصلها وأهم أركانها هو التوحيد الذي بُعِث به الرسل كافةً، كان ذلك في مجتمع دخلت فيه انحرافات كثيرة ومُلئ بالخرافات والأباطيل والأوهام، وذلك بعد أن طال على بني إسرائيل الأمد فقست قلوبهم، وحّرفوا شريعة الله، فجاء عليه السلام ليردّ بني إسرائيل إلى جادة الصواب، ويصحح ما دخل إلى شريعتهم من تحريف وتبديل، كما جاءهم بأحكامٍ شرعية جديدة، ومن ذلك تحليل ما كان قد حرّم على اليهود في شريعة موسى عليه السلام بسبب بغيهم وعدوانهم عقوبة من الله، وكانت مدة دعوة المسيح حسب الأناجيل الثلاثة (متى ولوقا ومرقس) لا تزيد عن سنة واحدة إذ لم يذكروا خلال دعوة المسيح إلا عيداً واحداً، أما إنجيل يوحنا فذكر ثلاثة أعياد لليهود، وكان أتباعه خلال هذه المدة والذين خَلفَّهم بعده ينحصرون في الاثني عشر حوارياً وآخرين يبلغ مجموعهم مائة وعشرين فقط.(1)

ولقد كان محور دعوة المسيح عليه السلام حسب الأناجيل هو الدعوة إلى التوبة والإنابة إلى الله والتبشير بالملكوت القريب، ولا يختلف في هذا عن الأنبياء من بني إسرائيل الذين سبقوه وجاؤوا بعد موسى عليه السلام، إلا أنه زاد في النهي عن الفواحش والفساد بتأكيد تحريم الوسائل إليها فمن ذلك قوله: [قد سمعتم أنه قيل للقدماء لاتزن، وأما أنا فأقول لكم إن من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه] (متى 27/5و28)، أما التشريع فلم يذكر عنه منه شيء سوى ما يتعلق بالحض على عدم الطلاق وعدم زواج المطلقة: [وقيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق، وأما أنا فأقول لكم إن من طلق امرأته إلا لعلة الزنى يجعلها تزني، ومن يتزوج مطلقة فإنه يزني] (متى 31/5).

(1) انظر: سعيد (حبيب)، تاريخ المسيحية، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة، 1959م، ط2، 33/1.

ومن البديهي أن وضع المسيحية عموماً قد تغيّر بعد رفع السيد المسيح عليه السلام، فقد بدأت الديانة التي أتى بها السيد المسيح عليه السلام تفقد قيمتها ورونقها؛ ذلك أن سيل الخرافات والأوهام والأكاذيب قد لحق بها من كل جهة، ويجب علينا – إذا أردنا أن نتحدث عما لفَّقه الكاذبون وأبدعوه في الديانة النصرانية – ألَّا يفوتنا أن نتذكر مدة التشرد والضياع والاختفاء التي عاشها النصارى بعد رفع السيد المسيح عليه السلام، وهي مدة طويلة قد تزيد عن مائة سنة، فكانت النتيجة أن دخلت للنصرانية الكثير من الأوهام والخرافات، وبوجود هذه التربة الفكرية القابلة لكل ما يَفِد إليها من أوهام وخرافات فقد لعب الفكر الوثني الدور الأهم في محق أسس العقيدة النصرانية الحقة واستبدالها بأفكار وثنية وعقائد وهرطقات يرفضها مَن له أدنى تفكير سليم، فغابت معالم النصرانية الحقة، وساعد على ذلك التحول اعتناق بولس للنصرانية وادعاؤه الرسولية فيها بعد أن كان يهودياً ومن أشد الناس عداوة للنصرانية وأهلها.

من هنا نرى أن العقيدة النصرانية قد توافر فيها كل مقومات التحريف وعوامله، وهي على النحو التالي:

1- عدم تمكن أهلها من الظهور واستمرار مدة الاختفاء دهراً طويلاً.
2- عدم وجود المدافع والمنافح عن العقيدة أمام ما يُنسب إليها ويلصق به من أوهام.
3- انتشار الفكر الوثني في تلك المدة.
4- اعتناق بولس اليهودي لهذه العقيدة.

أنتجت العوامل السابقة باجتماعها ديانةً مزيَّفة تختلف في معظم تعاليمها عما جاء به السيد المسيح عليه السلام من تعاليم تحضُّ على التوحيد وتأمر به.

فكانت النتائج ما يلي:

1- أصبح السيد المسيح إلهاً باعتقادهم بعد أن كان رسولاً من الله تعالى، وأصبح اسمه الشائع ابن الله وصاروا يقصدون بهذه الكلمة أن هذا الابن هو شريك للأب في الألوهية – بل ربما أعطوه من الأهمية مالم ينله الأب باعتقادهم – بعد أن كان يُقصد بعبارة (ابن الله) المؤمن باسم الله، يقول يوحنا: [وأما كل

الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه] (يوحنا 12/1).

2- أصبح المصلوب هو المسيح عيسى ابن مريم بعد أن كان رجلاً غيره بشهادة الكثير من التلاميذ، وخاصة برنابا صاحب الإنجيل المعروف الذي رفض هذه الأكذوبة وبين كونها من الأوهام التي لحقت بالعقيدة النصرانية، فكانت النتيجة أن اعتبرت الكنيسة إنجيله هذا غير معترف به، وأنه مكذوب لما يحتويه من الحقائق التي هي بنظر الكنيسة ضلالات وخرافات.

3- أخذت فكرة الفداء مأخذها الواسع وأصبحت عقيدة أساسية من العقائد النصرانية، فاعتبر النصراني أن المصلوب إنما هو إله قد تجسد لاهوته في صورة ناسوت (إنسان) فأصبح بذلك له طبيعتان بدلاً من طبيعته الإلهية، وقد آثر أن ينزل إلى الأرض كي يُصلب ويُعلَّق على الخشبة كي يفدي بني آدم من وراثة الخطيئة التي ورَّثهم إياها أبوهم آدم.

4- أصبح المؤمن بهذه العقيدة مفديٌّ من قبل المسيح، والذي لا يؤمن بذلك فإنه سوف يُدان بالآخرة ويعاقب على الخطيئة التي ارتكبها آدم عليه السلام.

5- تأصلت فكرة الثالوث المقدس في نفوس النصارى، باستمداد هذه الفكرة من الفلسفات الوثنية القديمة، فأصبحت فكرة الألوهية مقسمة بين ثلاثة أقانيم هم (الآب والابن والروح القدس)، وأصبح هذا الشعار هو قانون الإيمان النصراني الذي لا يكون المرء مؤمناً حتى يعتقد به ويؤمن بهذه الأقانيم كاملة.

المبحث الأول: دعوى ألوهية السيد المسيح عليه السلام:

الاعتقاد السائد بين النصارى أن المسيح عيسى ابن مريم إنما هو الصورة اللاهوتية، وقد تجسد في جسم إنسان واتخذ الطبيعة البشرية لنفسه ليفدي البشر ويخلصهم من الخطيئة الموروثة، فهو بذلك إله حقيقي وليس بشراً، لكنه اتخذ الدور البشري ليُتمّ مهمة الفداء، مع أن الناظر في الكتاب المقدس في العهد الجديد لا يجد أي كلمة للسيد

المسيح يشير من خلالها إلى أنه إله، بل كان يعترف بكونه إنساناً رسولاً من عند الله، ولو أن له طبيعة أخرى غير الطبيعة البشرية لكان من الحري به أن يذكرها.(1)

المطلب الأول: فكرة بنوة السيد المسيح

مدلول الابن في اللغة يدل على ولادة طبيعة من أب وأم، لكن هذا اللفظ ورد باستعمالات متعددة لمعانٍ متعددة في الكتاب المقدس، فالابن في الكتاب المقدس يشير إلى ما يلي:

1- الابن باعتبار نسبته إلى أبيه.
2- الإشارة إلى التسلسل كبني اسرائيل أي نسل إسرائيل.
3- الإشارة إلى الوطن والمسكن كأبناء مصر أي سكانها.
4- التلاميذ والملازمون كأبناء الأنبياء.
5- إشارة إلى العباد فأبناء الله هم عباد الله.

وفي الكتاب المقدس يطلق هذا الاسم على كثيرين، لكنهم يقولون إن إطلاق لفظ ابن الله على المسيح يختلف عن غيره، إذ إطلاقه عليه يدل على ألوهيته لذلك يقولون عنه ابن الله أي ابن ذات الله.(2)

ولقد صار هذا القول من أركان الديانة المسيحية، وهذه العبارة لم ترد على لسان المسيح في الكتاب المقدس سوى مرة واحدة في إنجيل يوحنا حين يقول لليهود الذين يريدون رجمه: [لأني قلت إني ابن الله] (يوحنا 36/10)، لكن هل يمكن فهم هذه البنوة على سبيل الحقيقة أم لا بد من حملها على المجاز؟

لا نستطيع أن نحكم بالعلاقة المرادة هل هي الحقيقة أم المجاز إلا إذا رجعنا إلى الكتب المقدسة، فنجد مثلاً في المزامير الإعلان التالي: [قال لي: أنت ابني أنا اليوم ولدتك] (مزامير: 7/2)، وفي يوحنا: [من يغلب يرث كل شيء وأكون له إلهاً وهو يكون

(1) انظر: عجيبة (أحمد)، الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه، دار الآفاق العربية بالقاهرة، ط1، ص374.

(2) انظر: عجيبة، الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه ، ص325، والهيئة القبطية الإنجيلية، علم اللاهوت النظامي، دار الثقافة المسيحية بالقاهرة، 1971م، ط1، ص 306.

لي ابناً] (يوحنا 7/21)، وفي متى: [طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يُدعون] (متى: 9/5)، وفي رسالة بولس إلى أهل رومية: [إن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله] (رومية 14/8)، وكل البنوة المذكورة في هذه الإعلانات هي بنوة مجازية لا حقيقية، فأي المعنيين يجب أن نحمل عليه بنوة السيد المسيح؟

يرى (ميللر باروز) أن في مخطوطات البحر الميت مقطعاً من سفر التثنية يقول: [حسب عدد أولاد الله] ونفس النص في التوراة يقول: [حسب عدد ملائكة الله]، وأن هناك من يفسر أولاد الله بمعنى ملائكته، وبالتالي فإن هذا يعني في نظر البعض أن المسيح كان رئيس الملائكة، هذا معنى محتمل، وهنالك التأويلات المجازية كتأويل الأب (فيستوجييه) الذي يرى أن المتصوفة يستخدمون مثل هذه العبارات أحياناً، وأن المتصوف قد يصل إلى حال يتعرف فيه على الله كما يتعرف المرء على أبيه، وهو بهذا يعرف نفسه على أساس (ابن الله) وربما كانت تلك هي حالة المسيح حينما كان يتكلم عن أبيه أو حينما كان يُلقب نفسه بالابن، وهناك أيضاً من يُحاول تفسير هذه العبارة تفسيراً نفسياً، فيرى أن الناس حين تُفرط في تهليلها للسيد المسيح وتثور حماستها فإنها تسقط التمييز بين الآب والابن، يقول عوض سمعان: [كلمة ابن في الاصطلاح (ابن الله) لا يراد بها المعنى الحرفي بل المعنى المجازي إذ يراد بها الكائن الذي يعلن الله غير المنظور][(1)]

لذا فالرأي الذي استقر عليه دعاة الكنيسة أنه يجب علينا أن نستبعد من أذهاننا الولادة الجسدية، وثمّة دائرة معارف الكتاب المقدس تقول: أن يسوع ما سمى نفسه ابن الله قط، وأما ما نجده (في الأناجيل) من إطلاق الناس هذا اللقب عليه، فهو لا يعني أكثر من انهم يعتبرونه مخلصاً (مسيحاً).

" Jesus never called himself the "SON OF GOD" ،and the title when bestowed upon him by others involves no more than the acknowledgement that he was Messiah"[(2)]

---

(1) سمعان (عوض)، طريق الخلاص، دار الثقافة المسيحية بالقاهرة، ط2، ص22، وانظر: سمعان (عوض)، الله ذاته ونوع وحدانيته، دار الثقافة المسيحية بالقاهرة، ط1، ص156.

(2) T.k.chenyl & J.S. black, *Encyclopaedia Biblicca* (London ،1899), p: 4689.

على جميع الأحوال فإن عبارة ابن الله كانت سبباً في انتشار هذه النصرانية بين الوثنيين وعبدة الأصنام الذين عايشوا هذه الفكرة منذ فترات سحيقة، وباعتبار أن بلاد المشرق كانت مهداً لديانات وثنية فإنه ليس من الغريب أن يقوم فيها من يزعم أنه ابن الله، ففي مصر نجد الكثيرين من يدعون أنهم أبناء الله، كأبناء (توت) و(بتاح) و(رع)، حتى إن الإسكندر الكبير حين فتح معبد سيوه سمع صنم الإله آمون يناديه: يا ابني.[1]

ونجد كثيراً من الآثار الوثنية التي تنطوي على فكرة الأبوة والبنوة كالوثنية الميثراسية والأوزيسية في مصر والأدونيسية وغيرها، وبالمجمل فإنه ليس أمامنا بدّ من الاعتراف بالأصل الوثني لفكرة ابن الله وأن هذه الفكرة ما هي إلا دخيلة إلى العقيدة النصرانية على يد المتنصرين الوثنيين لا سيما (بولس) الذي كان له الدور الأكبر في تطبيع الفكر النصراني بالطابع الوثني، وإن لم تكن دخيلةً وثنية فإن الأولى حملها على المجاز ليستقيم المعنى.

المطلب الثاني: تسمية السيد المسيح بـ (الرب):

ويُعدُّ هذا اللقب من أهم الألقاب التي نسبوها إلى السيد المسيح والتي تبرز المهمة التي ألصقوها به وهي خلاص البشرية، وهذه الكلمة تستخدم لمعانٍ متعددة، فقد استخدمت في اللغة اليونانية القديمة لتعني مالك الشيء أو صاحبه، واستخدمها العهد الجديد بهذا المعنى أيضاً، ففي إنجيل مرقس: [أما قرأتم هذا المكتوب الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية، من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا] (مرقس 12/10-11).

يقول باركلي: إن لقب الرب يعني:

1. الاحترام كما نقول في العربية "سيد".
2. كان لقب الامبراطور الروماني.
3. كان لقب آلهة اليونان مثل الرب (سيرابيس).

---

(1) انظر: ويند (إدغار) ويونغ (كارل غوستاف)، الأصول الوثنية للمسيحية، ترجمة: سميرة عزمي الزين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، ص38.

4. وفي الترجمة اليونانية للعهد القديم كانت كلمة الرب ترجمة لاسم الجلالة (يهوه).[1]

كذلك فإننا إذا نظرنا إلى اللقب (رب) على أنه معنى عام لوجدنا أنه لا يُفهم منه ألوهية المسيح، لأن لفظ الرب يستعمل في كثير من المجتمعات وخاصة في الأزمنة القديمة بقصد التكريم والتعظيم، حتى في أيامنا هذه نرى الكثيرين يطلقون هذا اللفظ على مَن يعيل الأسرة وعلى صاحب المكان أو رئيسه، فهذا الإطلاق إنما هو من باب التكريم والتقدير لهذا الشخص فقط، وما أُطلق هذا اللفظ على السيد المسيح إلا تقديراً وإجلالاً له بصفته المعلم والنبي، وبالتأكيد فإن النصارى الأوائل الذين أطلقوا عليه هذا اللفظ لم يكونوا يعنون به إشراكه مع الله تعالى أو تأليهه[2]، لكن هذا اللفظ أخذ معنى التقديس للسيد المسيح بعد قيامته، يقول الدكتور فهيم عزيز: [إن هذا اللقب نسب إلى يسوع في حياته الأرضية، تعبيراً عن عظمته وعظمة تأثيره.....إنهم كانوا ينادونه (يارب) أو كانت الكنيسة الأولى تطلق عليه لقب (الرب) بمعنى المعلم الأعظم ولكن معنى الكلمة تغير بعد قيامته من الأموات، معنى ذلك أن إطلاق كلمة الرب على المسيح بالمعنى الذي يُقصد به ألوهية المسيح لم يُطلق عليه إلا بعد قيامته، حتى أن البعض يعتبر أن إطلاق هذا اللفظ على السيد المسيح قبل القيامة خطأ].[3]

نستنتج مما تقدم أن إطلاق لقب (الرب) بالمعنى الإلهي على المسيح كان بعد قيامته أي أن المسيح لم يعلمهم هذا اللقب بهذا المعنى لكنهم استنتجوه من قيامته، فإذا سلمنا جدلاً بصحة القيامة، فهل تُترك العقائد للاستنتاج؟ طبعاً لا، إنه لو كان ذلك من رسالة السيد المسيح لبينه للناس، لأنه لا يمكن أن يُغفل الرسول أي أساس من الأسس التي يتوقف عليها الاعتقاد بديانةٍ ما.

المطلب الثالث: بطلان الاعتقاد ببنوة المسيح:

---

(1) انظر: باركلي (وليم)، تفسير العهد الجديد – رسالة رومية، ترجمة: منيس عبد النور، دار الثقافة المسيحية بالقاهرة، ص160.

(2) انظر: مرجان (محمد مجدي)، المسيح إنسان أم إله، دار النهضة العربية بالقاهرة، ص196–197.

(3) عجيبة، الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه، ص346.

معلوم أن الاعتقاد السائد بين أغلب النصارى أن السيد المسيح عليه السلام هو ابن الله تعالى بالمعنى الحقيقي للكلمة، لكن زعمٌ كهذا لن يسلم من كثرة المطاعن الموجهة إليه، لأن الكتاب المقدس مليء بالأدلة التي تدل بمفهومها على نقيض هذا المعتقد، إضافةً إلى ما يرد على هذه المقولة وهذا الاعتقاد من اعتراضات عقلية، وسأورد بعض الاعتراضات التي يتهافت أمامها الاعتقاد ببنوة المسيح لله تعالى.

- من البديهي في مفهوم البنوة والأبوة ضرورة الاشتراك في الجنس، فالأب من جنس الابن والابن من جنس الأب، فالقول بأن عيسى ابن الله يستلزم أن يكون من جنس أبيه، ويدعي النصارى أن المسيح كان ذو طبيعتين ناسوتية ولاهوتية، بينما الآب لم ترد له أي طبيعة أخرى سوى اللاهوتية، لذا فالاختلاف في الطبيعة يقتضي الاختلاف في الجنس وهذا يقتضي أن يكون السيد المسيح ليس إلهاً ولا من جنس الإله.
- كون السيد المسيح ابن الله فهذا يعني أنه إله، وكونه إلهاً يعني أنه مماثل للآب في كل شيء، فإذا لم يكن مماثلٌ له فهذا يقتضي أن يكون إلهاً قاصراً، والفكر النصراني ينفي عن السيد المسيح النقص والقصور، لذا فهم يدّعون له الكمال، وهذا الكمال يقتضي أن يكون مماثلاً للآب، وكذلك فإنه من المعلوم بالكتاب المقدس أن الآب لا يُماثله أي شيء، فهو لا مثيل له ولا شبيه، ففي العهد القديم [لأني أنا الله وليس آخر والإله وليس مثلي] (إشعياء 9/46) فالله لا مثيل له، إذاً لا ابن له، لضرورة التماثل بين الابن وأبيه.
- من المعلوم أن السيد المسيح قد مرَّ بالأطوار التي يمر بها أي إنسان من حمل وولادة وإرضاع ونشوء إلى غير ذلك، فلو كان السيد المسيح ابناً لله تعالى لاستلزم ذلك أن يكون مشابهاً له أيضاً في الأزلية، أي عدم الولادة؛ لأن الأزلية هي من الصفات التي يحكم العقل باتصاف الله بها، والولادة من دلالات الحدوث، والحدوث مناقض لأزلية الله تعالى، وبما أن السيد المسيح مولود فهذا يعني أنه غير أزلي، إذاً يستحيل أن يكون ابناً للإله الأزلي.

- لوكان السيد المسيح ابن الله لكان مثله في القوة، ولكن كيف نفسّر ما ترويه الأناجيل من أن عيسى اقتيد إلى التحقيق، وأُهين وضُرب ولُطم وصُلب فلم ينصره أحد ولم ينصر نفسه حتى أن أبوه لم ينصره؟ لذا فإن ما ترويه الأناجيل من ضعف عيسى وعجزه في ذلك الموقف ينفي أن يكون ابناً لله، حتى أن الجنود الذين كانوا موجودين تحدَّوا المصلوب وقالوا له: [إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب] (متى 40/27).
- الابن مثل أبيه، فإذا كان الآب لا يموت فإن الابن لا يموت، ولكن المسيح حسب الأناجيل مات ووضع في قبر، [ووضعه في قبره الجديد] (متى 50/27) لذا فهو لم يماثل الله في السرمدية والبقاء الأبدي، إذاً ليس المسيح ابناً لله؛ لأن عيسى مات حسب أناجيلهم والله تعالى لا يموت.
- الزعم بأن السيد المسيح هو ابن الله يتناقض مع وحدانية الله، لأن ابن الإله يكون إلهاً، ولقد قال السيد المسيح: [المجد الذي من الإله الواحد] (يوحنا 44/5)
- ورد في العهد القديم – وهو كتاب معتبر عند النصارى – [فبمن تشبهون الله وأي شبه تعادلون به] (اشعياء: 18/40) يُفهم من هذا الإعلان أنه ورد في سياق اللوم، فالله لا معادل له ولا شبيه ولا كفء ولا مماثل، وهذا ينفي وجود الابن له، إذ يستحيل أن يكون له ابناً لأن الابن لا بد أن يتصف بصفات أبيه؛ لأن الشبيه منفي، ووجود الابن يستلزم وجود الشبيه.
- إذا كان بعض النصارى يحتجون علينا بأن المسيح ابن الله لأن ولادته البشرية كانت من غير أب فالحجة باطلة؛ لأن آدم عليه السلام كان بدون أب وبدون أم أيضاً، فخُلِق من غير أصل بشري.
- لم يكن المسيح هو الذي حاز على لقب ابن الله وحده، فقد أطلق الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد هذا اللقب على الكثير من الأشخاص، فلماذا لم يقل أحد من النصارى إن الأبوة والبنوة تقتضي الإلهية؟
- ورد في إنجيل متى [فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء وإذا السماوات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتيا عليه] (متى: 16/3) هذا النص

يدل على أن السيد المسيح قد عُمِّد على يد النبي يحيى (يوحنا) في مياه نهر الأردن، والتعميد إنما يكون للتطهير من الذنوب، فيكف يتصور عاقلٌ أن يكون الإله حاملاً للذنوب وبحاجة إلى التعميد للتطهير منها، فمن البديهي أن هذا التعميد ينفي عن السيد المسيح صفة الألوهية.

- ورد في الكتاب المقدس الكثير من الإعلانات التي تدل على بشرية السيد المسيح وحاجاته الفطرية وانفعالاته النفسية، وكل ذلك ينفي عنه الألوهية، وتتعدد شواهد ذلك في الكتاب المقدس حسب الغريزة الإنسانية التي يحتاجها السيد المسيح، فمنها:

- الأكل والشرب: [جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب، فيقولون هو ذا إنسان أكول وشريب خمر] (متى 19/11).
- التعب والراحة: [وفيما هم سائرون نام فنزل نوء ريح في البحيرة] (لوقا: 23/8).
- الخوف والهرب: [فرفعوا حجارة ليرجموه أما يسوع فاختفى وخرج من الهيكل مجتازاً في وسطهم ومضى هكذا] (يوحنا 59/8).
- البكاء: [وظهر له ملاك من السماء يقويه، وإذ كان في جهاد كان يصلي بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض] (لوقا 22/43-44)

نستنتج مما سبق من الأدلة استحالة كون السيد المسيح إلهاً، كما أن كلمة ابن وكلمة أب وردت في العهد القديم والأناجيل بالمعنى المجازي لا بالمعنى الحرفي، فلا يوجد مبرر لحمل كلمة ابن على معنى الألوهية عندما تتعلق بالمسيح وحملها بمعنى المؤمن بالله عند تعلقها بغير السيد المسيح؛ لأن ذلك يكون تحيزاً واضحاً، لذا فإننا عندما

نفي أن يكون المقصود بالبنوة الألوهية فإن ذلك ينفي الألوهية عن السيد المسيح بطريق الاستلزام.[1]

وبتأكيدنا على بشرية السيد المسيح ونقض دعوى ألوهيته بالأدلة والمناقشة المنطقية نكون قد وضعنا اللبنة الأولى في سبيل **تأصيل قضية التوحيد في النصرانية**.

المبحث الثاني: دعوى ألوهية الروح القدس

من المعلوم في العقائد النصرانية أنهم يعتبرون الروح القدس إلهاً ولا يصح إيمان النصراني حتى يعتقد ذلك، ولقد استنبطوا هذه العقيدة من إنجيل متى من الإعلان الوارد فيه والذي يقول: [فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس] (متى 19/28) والإعلان الآخر: [فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء وإذا السماوات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه] (متى 16/3)، وهذه تُعدُّ العقيدة الثالثة من الثالوث المقدس.

المطلب الأول: حقيقة الروح القدس في النصرانية:

يقول النصارى أن (الروح القدس) سمي بذلك إشارة إلى عمله غير المنظور، وهو إنارة الارواح وإرشادها وتجديدها وتقديسها، أما لفظ (القدس) فإنه يقترن باسمه ليميزه عن جميع الأرواح المخلوقة.[2]

كذلك فقد ورد في التوراة ذكر الروح مضافة إلى القدس، وإلى الله، وبدون إضافة، فجاءت الروح بمعنى **الوحي بالإلهام**، إذ جاء في سفر الخروج: [وملأته من روح الله بالحكمة والفهم والمعرفة وكل صنعة] (خروج 3/31)، وجاءت الروح بمعنى **الثبات والنصرة** التي يؤيد الله بها من يشاء من عباده المؤمنين، إذ جاء في سفر التكوين عن يوسف عليه السلام: [فقال فرعون لعبيده هل نجد مثل هذا رجلاً فيه روح الله، ثم قال

---

(1) انظر: الخولي (محمد علي)، حقيقة عيسى المسيح، المكتبة الوطنية، 1990م، ط1، ص34، وبراون (باربارا)، نظرة عن قرب في العقائد المسيحية، ترجمة: مناف حسين الياسري، دار نشر توحيد بكندا، 1993م، ص25.

(2) انظر: جديد (إسكندر)، وحدانية الثالوث في المسيحية والإسلام، مكتبة كنيسة مارجرجس بالقاهرة، ص12، وسلسلة دراسات آبائية، الروح القدس عند الآباء، مكتبة كنيسة مارجرجس بالقاهرة، ص: 25.

فرعون ليوسف بعدما أعلمك الله كل هذا، ليس بصير وحكيم مثلك] (التكوين 38/41-39)، وجاءت الروح بمعنى **جبريل**، إذ جاء في سفر اشعياء: [ولكنهم تمردوا وأحزنوا روح قدسه، فتحول لهم عدواً وهو حاربهم] (اشعياء 10/63).

أما بالنسبة للنصارى فإنهم يؤمنون بالتوراة ويسمونها بالعهد القديم، وهو حجة عليهم فيما ورد فيه عن حقيقة الروح القدس ولقد ورد في أناجيل العهد الجديد ما يؤيد هذا الاعتقاد، فقد ذكرت تلك الكتب أن الروح القدس كان مع داود عليه السلام: [لأن داود نفسه قال بالروح القدس قال الرب لربي] (مرقس 36/12)، وأنه نزل بالوحي إلى الأنبياء والرسل [فانصرفوا وهم غير متفقين بعضهم مع بعض لما قال بولس كلمة واحدة إنه حسناً كلم الروح القدس آباءنا بأشعياء النبي، قائلاً اذهب إلى هذا الشعب] (أعمال الرسل 25/28)، كما نزل الروح القدس على المسيح عليه السلام، واستمر معه بعد أن عمده يوحنا المعمدان في ماء الأردن: [ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضاً، وإذ كان يصلى انفتحت السماء ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة] (لوقا 21/3-22)، كما كان الروح القدس مؤيد للمسيح في دعوته ومعجزاته: [أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئاً من الروح القدس، وكان يقتاد بالروح في البرية] (لوقا 1/4)[1]، وغيرها كثير من النصوص، ومنها ندرك أن الروح القدس ورد ذكره بمعنى جبريل عليه السلام وبمعنى الوحي الإلهي، وبمعنى النصر والتأييد، ويبدو أن هذا هو الاعتقاد الذي كان عليه النصارى في حياة المسيح وحواريوه والقرون الثلاثة الأولى لميلاده، بدليل أن الشواهد من مصادرهم الدينية . لآنفة الذكر . لا تعني سوى ذلك، وكذلك لأن اعتقادهم بألوهيته لم يتقرر إلا بعد رفع السيد المسيح عليه السلام.[2]

المطلب الثاني: مراحل إقرار النصارى بألوهية الروح القدس:

إن مسألة ألوهية الروح القدس قد مرت بأطوار حتى استقر الأمر بالنصارى في النهاية إلى اعتباره إلهاً، فبعد أكثر من ثلاثة قرون من رفع المسيح عليه السلام اجتمع

---

(1) انظر: الريّس (علي)، نفي ألوهية الروح القدس، دار هادف للنشر والتوزيع، د/ط.ت، ص22.

(2) انظر: عبد المحسن (أحمد)، الروح القدس في عقيدة النصارى، دار الاعتصام، د/ط.ت، ص44.

الخلف من النصارى في نيقية سنة 325 م، وكان عدد المجتمعين فيه 2048 أسقفاً، وبعد التناظر انقسم الموجودون إلى قسمين، فريق ذهب إلى القول بألوهية السيد المسيح، وكان عددهم 318 أسقفاً، وفريق آخر يبلغ عددهم 1730 أسقفاً مختلفون في الرأي والمذاهب، وصدر عن هذا الاجتماع أول قانون إيمان مقدس لهم، أقروا فيه اعتقاد ألوهية المسيح عليه السلام كما أشاروا فيه إلى الروح القدس بقولهم: ((ونؤمن بالروح القدس)) دون أن يذكروا حقيقته والأعمال الموكلة إليه، وإنما أعلنوا إيمانهم به فقط.(1)

وبعد أكثر من خمسين سنة عقدوا مجمعا آخر في مدينة القسطنطينية سنة 381 م ضمّ 150 أسقفاً، فأقروا قانون الإيمان السابق في نيقية، ثم أضافوا الاعتقاد بألوهية الروح القدس، مع بيان بعض صفاته، فقالوا: ((ونؤمن بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب، الذي هو مع الآب والابن مسجود له وممجد، الناطق في الأنبياء.......))، وبهذا المجمع القسطنطيني سنة 381م اكتملت فكرة التثليث كعقيدة للنصرانية، وهذه الفكرة لم تُقرر بأغلبية عامة وإنما بالأغلبية المغلوب على أمرها.(2)

وبعد ذلك ظهر نزاع بين النصارى بسبب الاختلاف بينهم حول انبثاق الروح القدس، هل هو من الأب فقط، أم من الأب والابن؟ فعقدوا لذلك مجمعا لحل النزاع في هذه القضية في طليطلة بإسبانيا سنة 589م فأقروا فيه نفس قانون الإيمان السابق، وأضافوا الاعتقاد بانبثاق الروح القدس من الابن أيضاً، وقد أصبحت هذه الزيادة عقيدة الكنائس الغربية الكاثوليكية والإنجيلية التي تنص على انبثاق الروح القدس من الأب

---

(1) انظر: سلطان (سلطان عبد الحميد)، المجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية، مطبعة الأمانة، 1990م، ط1، ص85.

(2) انظر: المرجع السابق، ص102، وشلبي (رؤوف)، أضواء على المسيحية، المكتبة العصرية بصيدا، 1975م، ص101، والسقا (أحمد حجازي)، أقانيم النصارى، دار الأنصار بالقاهرة، ص60.

والابن، ورفضت الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية هذه الزيادة، وظلت متمسكة باعتقاد أن الروح القدس منبثق من الأب وحده.(1)

المطلب الثالث: تفنيد ألوهية الروح القدس:

الناظر في قضية ألوهية الروح القدس لا يخفى عليه كثرة المعاني التي استخدم فيها الكتاب المقدس تركيب (الروح القدس) للتعبير عن معنى ما، فليس هذا الاستعمال محصوراً بمعنى واحد، والمرء حين يدرك هذا الأمر ويدرك الأطوار التي مر بها اعتقاد النصارى بألوهية الروح القدس فإنه يخرج بنتيجةٍ هي استحالة أن يكون الروح القدس إلهاً، وسوف نبرهن علة هذه النتيجة بما يلي ونحاول أن نأتي ببعض الأدلة على سبيل المثال لا الحصر:

1- لم تكن عقيدة ألوهية الروح القدس معروفة في عصر المسيح عليه السلام ولا في عصر حوارييه، ولا في القرون الثلاثة بعد رفع المسيح، بدليل أنهم في قانون إيمانهم المقدس سنة 325م قالوا: ((ونؤمن بالروح القدس))، دون أن يذكروا اعتقادهم ألوهيته، وبعد أكثر من نصف قرن حينما اجتمعوا في القسطنطينية سنة 381م، صدر عنهم قانون آخر أضافوا فيه اعتقادهم ألوهية الروح القدس، فقالوا: ((ونؤمن بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب، الذي هو مع الآب والابن مسجود له وممجد، الناطق في الأنبياء)) أي أن اعتقادهم ألوهية الروح القدس جاء بعد أكثر من ثلاثة قرون من رفع المسيح، إضافة إلى أن قولهم هذا متناقض وباطل عقلا ونقلا.

2- أجاب شيخ الإسلام (ابن تيمية) رحمه الله الذين يدعون ألوهية الروح القدس أنكم قلتم في أقنوم روح القدس الذي جعلتموه الرب المحيي أنه منبثق من الآب مسجود ممجد، ناطق في الأنبياء، فإن كان المنبثق رباً حياً فهذا إثبات إله ثالث، وقد جعلتم الذات الحية منبثقة من الذات المجردة، وفي كل منهما من

(1) سلطان، المجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية، ص118، وشلبي (رؤوف)، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، دار الاعتصام، د/ط.ت، ص240، وعبد المحسن، الروح القدس في عقيدة النصارى، ص56.

الكفر والتناقض ما لا يخفى، ثم جعلتم هذا الثالث مسجود له، والمسجود له هو الإله المعبود، وهذا تصريح بالسجود لإله ثالث مع ما فيه من التناقض، ثم جعلتموه ناطقاً بالأنبياء، وهذا تصريح بحلول هذا الأقنوم الثالث بجميع الأنبياء، فيلزمكم أن تجعلوا كل نبي مركباً من لاهوت وناسوت، وأنه إله تام وإنسان تام، كما قلتم في المسيح، إذ لا فرق بين حلول الكلمة وحلول روح القدس، كلاهما أقنوم، وأيضاً فيمتنع حلول إحدى الصفتين دون الأخرى، وحلول الصفة دون الذات، فيلزم الإله الحي الناطق بأقانيمه الثلاثة حالاً في كل نبي، ويكون كل نبي هو رب العالمين، ويقال مع ذلك هو ابنه، وفي هذا من الكفر الكبير والتناقض العظيم ما لا يخفى، وهذا لازم للنصارى لزوما لا محيد عنه، وليس لهم أن يقولوا: الحلول أو الاتحاد في المسيح ثبت بالنص، ولا نص في غيره لوجوه:

أحدها: أن النصوص لم تدل على شيء من ذلك.

الثاني: أن في غير المسيح من النصوص ما شابه النصوص الواردة فيه كلفظ الابن، ولفظ حلول روح القدس فيه، ونحو ذلك.

الثالث: إن ذلك كان ثابتاً في المسيح قبل إظهاره الآيات على قولهم، وحينئذ فيلزمهم أن يجوزوا في كل نبي أن يكون الله قد جعله إلها تاماً وإنساناً تاماً كالمسيح وإن لم يعلم ذلك.

الرابع: لو لم يقع ذلك لكنه جائز عندهم؛ إذ لا فرق في قدرة الله بين اتحاده بالمسيح واتحاده بسائر الآدميين، فيلزمهم تجويز أن يجعل الله كل إنسان إلهاً تاماً وإنساناً تاماً، ويكون كل إنسان مركباً من لاهوت وناسوت.[1]

3- أن نصوص العهد القديم والعهد الجديد التي ورد فيها ذكر الروح مضافاً إلى الله وإلى القدس وبدون إضافة، جاءت بمعنى الوحي بالإلهام، وبمعنى الثبات

---

(1) انظر: ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، مكتبة المدني بجدة، د/ط.ت، 3/18-19.

والنصرة التي يؤيد الله بها من يشاء من عباده المؤمنين، وبمعنى ملاك الله جبريل عليه السلام وبمعنى المسيح عليه السلام – كما تقدم بيانه – كذلك فإن حقيقة الروح حسب تعبير النصارى أنه: ((الناطق في الأنبياء، الناطق في الناموس والمعلم بالأنبياء، الذي نزل إلى الأردن ونطق بالرسل، وأنه الروح القدس روح الله)) فكل هذه المعاني تدل على أن حقيقة الروح القدس لا تدل على مرادهم باعتقاد ألوهيته، إذ لو كان إلها لكان كذلك منذ أن خلق الله تعالى الخلق حتى قيام الساعة، لكن ذلك لم يكن.

4- أن النصوص التي يستدلون بها على ألوهية الروح القدس ليس فيها ما يدل على أن لفظ الروح القدس معناه الإله، وليس فيها ما يدل على ما يمكن أن ينسب إليه من أسماء الله وصفاته وأعماله وعبادته، وأنه على زعمهم هو الأقنوم الثالث في ثالوثهم المقدس، بل الحق أنها تدل على معنى القوة والثبات التي يؤيد الله بها من يشاء من عباده المؤمنين، وهذا هو الذي دلت عليه نصوص العهد القديم والعهد الجديد، فلفظ الروح القدس لا تخرج عن هذا المعنى الذي سبق بيانه في الفقرات السابقة، ولاعن المعاني التي سبق بيانها عند الحديث عن حقيقة الروح القدس.[1]

5- الإله لابد وأن يتصف بصفات الكمال ويتنزه عن صفات النقصان، فإذا كان النصارى يدعون أن السيد المسيح إله والآب إله والروح القدس إله فلا بد لثلاثتهم من الاتصاف بكل معاني الكمال وأسماها، لكننا نجد أن الكتاب المقدس ينسب بعض صفات النقص إلى الروح القدس، وهو إله، ولا يجوز في حقه بكونه إلهاً –على زعمهم– إلا أن يتصف بكمال العلم والقدرة والقوة، فمثلاً مما يترتب على كلامهم أن الروح القدس لا يتصف بالعلم، يقول مرقس: [وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الآب] (مرقس 32/13)، فالروح لا يدري متى الساعة، ولو كان إلهاً لكان

(1) انظر: عبد المحسن، الروح القدس في عقيدة النصارى، ص137.

من الحري به أن يعرف ذلك، والروح القدس أيضاً لا يعرف الآب ولا الابن، يقول لوقا: [والتفت إلى تلاميذه وقال كل شيء قد دفع إلي من أبي وليس أحد يعرف من هو الابن إلا الآب ولا من هو الآب إلا الابن] (لوقا 22/10)، والنفي والاستثناء هنا يدلان على الحصر التام، فلا أحد يعرف الآب إلا الابن، ولا أحد يعرف الابن إلا الآب، فأين الروح القدس بين هذين الإلهين؟ وما هو مدى علم الروح القدس أو مدى معرفته؟.

6- ثم إن عبارات الكتاب المقدس تدلُّ على أن هذا الإله هو إله قاصر؛ لأن الكتاب المقدس ينبئ أن الروح القدس محكوم بأمر الآب، وبالتالي فليس له أن يعمل ما يريد أو يقول ما يريد، إذ هو محكوم بحكم الآب عليه، وليس له أن يعمل إلا ما يؤمر به، يقول يوحنا: [وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية] (يوحنا 13/16)، فكيف يكون الروح القدس إلهاً وهو لا يستطيع أن يأمر بشيء من عنده؟.

فالروح القدس هو ملاك الله جبريل عليه السلام المبلغ وحيه إلى أنبيائه ورسله، والواجب عليهم الاعتقاد أن هذا الروح النازل مثل حمامة على المسيح عليه السلام هو ملاك الله جبريل أمين وحي الله إلى المسيح وإلى جميع الأنبياء عليهم السلام، ومما تقدم من الأدلة نخلص بنتيجة هي استحالة كون (الروح القدس) إلهاً، وبتأكيدنا على عدم ألوهية (الروح القدس) ونقض هذه الدعوى بالأدلة والمناقشة المنطقية نكون قد وضعنا اللبنة الثانية في سبيل تأصيل قضية التوحيد في النصرانية.

المبحث الثالث: الثالوث المقدس

التثليث –كما هو معلوم – هو القول بألوهية الآب والابن والروح القدس، وقد حكاه متى في إنجيله عن السيد المسيح عليه السلام حيث قال لتلاميذه: [فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس] (متى 19/28)، ويرى الإمام

الباقلاني أن هذه العبارة ليست نصاً في التثليث وإنما تأولها النصارى وغالطوا في هذا التأويل.(1)

والنصارى يدعون أن معنى التثليث بالنسبة لهم ليس عبارة عن ثلاث آلهات متغايرة مختلفة، إنما هم ثلاثةٌ واحدٌ وواحدٌ ثلاثة، وقد شبهوا اتفاق الأقانيم في الجوهرية واختلافها في الأقنومية باتفاق الأعراض واختلافها، وذلك أن البياض والسواد قد يتفقان بأنهما لونان، ويختلفان بأنهما سواد وبياض وليس بينهما شيء يُخالف بينهما (2)، ويمكن نقد هذا الكلام بأن السواد والبياض أعراض، فهذا التشبيه إنما هو تشبيه مع الفارق، فالأعراض مختلفة في ذواتها عن الجواهر، فلا يصح هذا القياس.(3)

المطلب الأول: فلسفة النصارى حول الثالوث المقدَّس وتفسيرهم له:

وراء الحجب دائماً تختفي الحقائق، والحقيقة هنا هي أن التثليث عقيدة يصعب على العقل البشري فهمها، لا لضعف العقل البشري بل لتناقضها مع أبسط المسلَّمات الفطرية والمعارف الإنسانية، والحق أن كل ما يقوله النصارى من أدلة على التثليث لا يسوغ الاستدلال بها، لأن من تنسب إليهم هذه الأسفار لم يعلموا عن التثليث شيئاً، وكما تقدم فقد أصبح التثليث عقيدة رسمية للنصرانية في أعقاب مجمعين قرر في الأول منهما تأليه المسيح وهو مجمع نيقية 325م، وفي الثاني تم تأليه الروح القدس في مجمع القسطنطينية سنة 381م.

فلسفة النصارى حول الثالوث المقدس:

يرى النصارى أن الله سبحانه وتعالى يتكون من ثلاثة أقانيم، أي ثلاثة عناصر أو أجزاء، وهذه الأقانيم هي الذات والنطق والحياة، وتتجسد بالآب والابن والروح القدس، فالله موجود بذاته ناطق بكلمته حي بروحه، وكل خاصة من هذه الخواص والعناصر التي يكون منها الله تعطيه وصفاً أو مظهراً خاصاً حسب التجليات، فإذا تجلى الله بصفته

(1) انظر: الباقلاني (محمد بن الطيب)، التمهيد، دار يوسف مكاراتي ببيروت، د/ط 1957م، ص16.

(2) انظر: الناشئ الأكبر، الأوسط في المقالات، دار صادر ببيروت، د/ط، 1971م، ص85.

(3) انظر: الفاوي (عبد الفتاح أحمد)، المسيحية بين النقل والعقل، كلية دار العلوم بالقاهرة، 1992م، ط1، ص73.

ذاتاً سُمِّي الآب، وإذا نطق فهو الابن، وإذا ظهر كحياةٍ سُمِّي الروح القدس، ويرى فلاسفتهم أن الإنسان خُلِقَ على صورة الله ومثاله، فكما أن الله مثلث الأقانيم كذلك فإن الإنسان مكون من ثلاثة عناصر، وحسب رأيهم فإنه لا يمكن معرفة الله إلا بعد تصوره بالصورة البشرية.(1)

يقول **بولس إلياس:** [لماذا لا نقول من الأفضل: الله أحد وحسب – ثم يجيب نفسه قائلاً – لكننا إذا اطلعنا على كنه الله لا يسعنا إلا القول بالتثليث].

فهو هنا يفرض التثليث فرضاً، ثم كيف باستطاعتنا أن نطلع على كنه الله سبحانه الذي لا يمكن حده ومشاكلته بمخلوق؟

ثم يقول: [وكنه الله محبة........وثمرة هذه المحبة بين الآب والابن هي الروح القدس، هو الحب إذاً ما يجعل الله ثالوثاً وواحداً معاً].(2)

ولقد حاول بعض فلاسفة النصارى أمثال **أوغسطين** تبسيط عقيدة التثليث، يقولون: هو الأجزاء الثلاثة للكل، فالإنسان مثلاً يتألف من اللحم والدم والعظام، والفنان يتألف من الطبيعة والمهارة والتمرين، والشجرة تتألف من الجذور والأغصان والثمار.(3)

ولكن هؤلاء الفلاسفة يتناسون أن الأقانيم الثلاثة حسب العقيدة المسيحية ليست الأجزاء الثلاثة للوحدة ولا هي حيثيات ثلاثة للوجود، ولا صفات مختلفة له، بل إن لكل واحد منها وجوداً حقيقياً مستقلاً، ولذلك يرى **أوغسطين** وغيره أن الآب ليس ابناً، والابن ليس أباً، والروح القدس ليس ابناً ولا أباً.(4)

لذلك فجميع الأدلة والبراهين العقلية التي يستدل بها النصارى على التثليث ضعيفة للغاية، ولذلك ورد في قاموس هاستنجز:

---

(1) انظر: مرجان (محمد مجدي)، الله واحد أم ثالوث، مكتبة النافذة، ط2، 2004م، ص14.

(2) اليسوعي (بولس إلياس)، يسوع المسيح، المطبعة الكاثوليكية ببيروت، د/ط، 1965م، ص79.

(3) Augustine, The city of God (London: Every man`s Library, 1945), part: II ، p: 75 ،And: Stweetman, Islam And Christian Theology ،(London ،1945) vol: 1, p: 75.

(4) انظر: مير (ساجد)، المسيحية دراسة وتحليل، دار السلام للنشر والتوزيع بالرياض، د/ط.ت، ص122.

[The Christian doctrine of God as existing in three persons and one substance is not demonstrable by logic or by scriptural proofs]

(عقيدة الإله في المسيحية التي تقرر أن الله ثلاثة أقانيم في جوهر واحد لا يمكن إقامة الدليل عليها بالمنطق أو بالأدلة المنطقية).(1)

فمن هذا الكلام نستنتج أن عقيدة التثليث كانت تبدو لهم ضد التوحيد الإلهي الذي تعلمه الكتب المقدسة، فلذلك أنكر أوائلهم هذه العقيدة، ولكن حب النصارى المتأخرين الشديد والأعمى للمسيح جعله إلهاً وابن إله، وأعطوا الروح القدس كذلك درجة الألوهية، وهكذا تكونت عقيدة (الواحد والثلاثة معاً)، والعمل الثاني والمهم في هذا التحول هو دخول الوثنيين إلى هذه الديانة واعتناقهم للمسيحية، يقول **ليكي (Lecky)** وهو أحد مؤرخي المسيحية المشهورين:

[(Christianity) assumed a form that was quite as polytheistic and as idolatrous as the ancient paganism].

(تحولت المسيحية إلى الشكل الذي يماثل تماماً الديانات الشركية والوثنية القديمة).(2)

المطلب الثاني: بيان منافاة عقيدة التثليث للعقل:

يُعدُّ العقل أسمى ما وهب الله تعالى الإنسان من نِعم، فامتاز به الإنسان عن بقية الخلق، وجعله الله تعالى محور تفضيل الإنسان على غيره من المخلوقات، وأساساً في المسؤولية الإنسانية، فكان من حق هذا العقل أن يُدرك ما يُلقى إليه من شرائع ويفهم ما يُطلب من الإنسان اتباعه من قضايا ونظريات، فإذا عجز العقل عن فهم ما يُلقى إليه فإنه لا يمكنه أن يسير عليه، وإذا عرضنا عليه قضية الثالوث وحاولنا أن نقربها من إدراكه فإن الفشل سيكون حليفنا في كافة المحاولات.

لكننا نرى النصارى دائماً يحاولون أن يخلطوا بين مفهومي التوحيد التثليث على الرغم من تباعدهما، ويُصِّر دعاة الكنيسة أن يُثبتوا للعامة بأن الثالوث المقدس لا يدل

---

(1) Josev hastings, Dictionary of the Bible, (Edinburgh: 1963), p: 1015.

(2) Lecky, History of European Morals, (London), vol: 2, p: 97.

على التعدد إلا من جهة التجليات الإلهية، أما من ناحية التعدد فإنه واحد وليس بمتعدد، فالواحد عندهم يساوي ثلاثة والثلاثة تساوي واحد، فيذكرون التوحيد دائماً بجوار التثليث، ويجتهدون في بيان أن لا منافاة بينهما.

ويرى الشيخ محمد أبو زهرة أن الذي يدفعهم إلى ذلك هو اعتبارهم التوراة كتاباً مقدساً عندهم، وهي تصرح بالتوحيد، وتدعو إليه، وتنهي عن الشرك، بل تدعو إلى البراءة من المشركين أينما كانوا، فهم يجتهدون أولاً في أن يستنبطوا من نصوصها ما يحملونه على الإشارة إلى التثليث، كعبارة (كلمة الله) أو عبارة (روح القدس)، وثانياً: يحاولون أن يرجعوا التثليث إلى الوحدانية، لتلتقي التوراة مع الإنجيل فيقربوا التوراة إليهم بتحميل عباراتها ما لا تحتمل، ويقربوا عقائدهم من التوراة بتضمين ثالوثهم معنى التوحيد، وإن كان هو أيضاً لا يحتمل ذلك.(1)

إننا إذا افترضنا مع معهم أن هناك ثلاث آلهات أو ثلاثة أقانيم إلهية أزلية، فإما أن تكون قد اتفقت سوياً على خلق الكون وترتيب نظامه، وإما أن تكون قد اختلفت فيما بينها حول ذلك.

فإذا كانت قد اتفقت معاً أن تقوم بهذه المهمة فمعنى ذلك احتياج كل أقنوم أو إله منهم إلى الآخر، وعدم استقلال أي منهم في عمله، ومعنى ذلك أن كل واحد منهم يعجز عن القيام بهذا العمل بمفرده، وهذا العجز ينفي عنهم صفة الألوهية؛ لأن العجز من صفات المخلوقات، ولا يمكن أن يكون الإله عاجزاً.(2)

وإما ألّا يتفق الثلاثة على خلق هذا الكون فيقع الاختلاف بينهم، ومعلوم أن قدرة كل إله منهم سوف تتصادم مع غيره من الإلهين، فإما أن يُفني بعضهم بعضاً فيهلك الجميع، وإما أن يبقى منهم واحد فقط بعد هذا الاصطدام بينهم فيكون هو الإله الحق، ولا يبقى معه من إله آخر.

---

(1) أبو زهرة (محمد بن أحمد)، محاضرات في النصرانية، دار الفكر العربي بالقاهرة، ط3، 1966م، ص103.

(2) انظر: مرجان، الله واحد أم ثالوث، ص52.

إذاً فإن قضية وحدة الإله هي قضية بدهية في العقول وأن وجود أكثر من إله واحد مدعاةٌ للتناحر بين الآلهة، ومدعاة لانحياز كل إله لمخلوقاته من البشر والكائنات، وتفضيلهم وتقريبهم عن مخلوقات غيره.(1)

فينبني على قولهم أن الآب ما دام هو مكون الكائنات، والابن هو المخلص، والروح القدس هو معطي الحياة، فيكون الآب عاجزاً عن التخليص وعن إعطاء الحياة، ويكون المخلص عاجزاً عن التكوين وعن إعطاء الحياة، ويكون الروح القدس عاجزاً عن تكوين الكائنات وتخليصها.(2)

ولقد تكلم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مخالفة التثليث للعقل، ورد على دعاة التثليث بأن الرسل عليهم الصلاة والسلام لا يجوز أن يُخبروا بما يحيله العقل ويمنعه ويبطله، وإن كانوا يخبرون بما يحتار العقل فيه، فلا يحكم فيه بنفي ولا إثبات، ولم يُعلَم عن نبي من أنبياء الله أن أمر الناس بعبادة الثالوث، فعُلِم من ذلك أن هذه الفكرة متولدة من عقول أتباع الديانة النصرانية وليست من الوحي في شيء.(3)

فعقيدة الثالوث ليس لها أي برهان عقلاني والنصارى يدركون هذه الحقيقة، لكنهم يُعللون عدم اندراج هذه العقيدة ضمن قوانين العقل البشري بأنها تسمو فوق إدراك العقل، فليس لها شبيه في الطبيعة الروحية بالنسبة للإنسان المخلوق، فالثالوث عندهم فريد ولا مثيل له في الكون كله، وبناءً على هذا الكلام فإنه ليس ثمة ما يُعيننا على فهمه.(4)

المطلب الثالث: تفنيد عقيدة التثليث بالأدلة العقلية:

---

(1) انظر: المرجع السابق، ص55، وانظر: وصفي (محمد)، المسيح والتثليث، دار الفضيلة بالقاهرة، ص108.

(2) انظر: وصفي، المسيح والتثليث، ص108.

(3) انظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، 93/2، والعقلاً (سارة)، التثليث ومنهج ابن تيمية في إبطاله، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، 1423هـ، العدد: 25، ص382.

(4) انظر: الريّس، نفي ألوهية الروح القدس، ص18.

توسع العلماء المسلمون في إبطال عقيدة التثليث لا سيما من خلال طلبهم عرض هذه العقيدة على العقل السليم المجرد من الهوى وتحكيمه فيها، وسيظهر فساد ما هم عليه بشكل مباشر، فلو فرضنا أن الأقانيم الثلاثة هي صفات لجوهر واحد وهو الإله، فهذا يعني أن إله العالم بعد أن عُذّب صُلب ثم قُتل ثم دُفن في باطن الأرض ثلاثة أيام هذا يعني أن العالم كان يسير بدون إله، وهذا ما لا يقول به إلا الملحدون الجاحدون أساساً لوجود الله تعالى.(1)

وسوف أسرد بعض الأدلة العقلية التي يستدل بها أهل الحق من المسلمين على تفنيد عقيدة الثالوث المقدس، وحين ننفي وجود الثالوث فهذا يعني أننا نُؤَصل لقضية التوحيد عند النصارى، ونزيح بذلك عن التوحيد ركام الأوهام والأساطير التي لحقت به.

1- نقول للنصارى: إذا كنتم تعتقدون أن القديم ثلاثة أقانيم في جوهر واحد فلا يخلو قولكم عن إحدى حالتين:

إما أن تكونوا أخذتموه من طريق التوقيف والسماع أو من طريق المعقول والقياس.

فإن قلتم: إنما أخذناه على سبيل التوقيف من الأناجيل فهذا يستلزم ألّا تختلف فيه الأناجيل؛ لأن عقيدة بهذه الأهمية ينبغي على جميع كُتاب الأناجيل أن يذكروها، لكنا نجد أن العبارة الدالة على التثليث لم ترد سوى في إنجيل متى، أما باقي الأناجيل فلم يذكرها أحد منهم، ومع ذلك فقد خالفكم **آريوس** فيما ذهبتم إليه من التثليث، وزعم أن ما قلتموه مستحيل في العقول.

وإن قالوا: أخذناه من طريق المعقول والقياس، فما الذي يوجب أن يكون الباري جل جلاله ثلاثة أقانيم دون أن يكون أكثر من ذلك؟ وهل علمتم هذا الحصر بضرورة العقل أم بنظر العقل؟

فإن قالوا: علمنا ذلك بضرورة العقل فيلزم ذلك ألّا يختلف فيه العقلاء، لكن في الحقيقة قولهم هذا مناقض لضرورة العقل؛ فإنهم يجعلون الثلاثة واحد.

(1) انظر: عبد الرحمن (محمد حسن)، براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح، دار الكتاب الحديث، ط1، 1989م، ص104.

وإن قالوا: أخذناه بنظر العقل أي بالاستدلال العقلي: نقول لهم: أي دليل يرشدهم إليه؟ وأي برهان يقوم عليه؟ فأي برهان ذاك الذي يجعل الواحد ثلاثة أو الثلاثة واحد؟[1]

2- عقيدة الثالوث المقدس هي عقيدة اجتهادية بحتة، ومصدرها فهم بعض رؤساء الدين لا غير، كأمثال (متّى) كاتب الإنجيل وغيره، ولا يصح في منطق العقل والشرع أن تكون أمور العقائد من وضع البشر المنقطعين عن الوحي.[2]

3- المطالع لما كتبه علماء النصارى حول التثليث يجزم بما لا يدع مجالاً للشك أن التثليث المقصود عند النصارى إنما هو التثليث الحقيقي بمعنى أنه لا يمكن أن يُحمل كلامهم على التوحيد كما يدعون، فإذا وجد التثليث الحقيقي فلا بد من أن توجد الكثرة الحقيقية أيضاً، ولا يمكن بعد ثبوتها التوحيد الحقيقي وإلا يلزم اجتماع الضدين وهو محال، فلزم تعدد الوجباء وفات التوحيد يقيناً.[3]

4- لو افترضنا في ذات الله ثلاثة أقانيم ممتازة بامتياز حقيقي كما قال النصارى فمع قطع النظر عن تعدد الوجباء يلزم أن لا يكون الله حقيقة محصَّلة بل مركباً اعتبارياً فإن التركيب الحقيقي لا بد فيه من الافتقار بين الأجزاء ولا افتقار بين الواجبات، لأنه من خواص الممكنات، فالواجب لا يفتقر إلى الغير وكل جزء منفصلٌ عن الآخر وغيرُه وإن كان داخلاً في المجموع، فإذا لم يفتقر بعض الأجزاء إلى بعض آخر لم تتألف منها الذات الأحدية، على أنه يكون الله في الصورة المذكورة مركباً، وكل مركب يفتقر في تحققه إلى تحقق كل واحد من

---

(1) انظر: الحنفي (محمد بن صفي الدين)، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد سعيد دمشقية، دار السلام بالرياض، د/ط.ت، ص93.

(2) انظر: العلمي (عبد الله)، سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية، دار المكشوف ببيروت، ط1، 1390هـ، ص320، والحاج (محمد أحمد)، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، دار القلم بدمشق، ط1، 1992م، ص242.

(3) انظر: الهندي (محمد رحمت الله بن خليل الرحمن)، إظهار الحق، تحقيق: محمد خليل ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالسعودية، ط1، 1989م، 735/3، والآلوسي (نعمان بن محمد)، الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح، تحقيق: أحمد حجازي السقا، دار البيان العربي بالقاهرة، ط1، 1987م، ص191.

أجزائه، والجزء غير الكل بالبداهة، فكل مركب مفتقر إلى غيره، وكل مفتقر إلى غيره ممكن لذاته فيلزم أن يكون الله ممكناً لذاته وهذا باطل[1]، لذا فلا يليق بالمفتقر أن يكون صانعاً للعالم، والواقع أن العقل السليم يحكم بأن علة العلل لا بد أن تكون واحدة فقط ولا بد فيها أن تكون قديمة ولا يجوز أن تكون حادثة ومفتقرة ومركبة من أجزاء، لذا فإنه يستحيل التسليم بوجود علتين أو أكثر غير محدودتين وسرمديتين وغير متغيرتين، لأننا في هذه الحالة لا بد أن نطبق دليل التوارد والتمانع.[2]

5- إذا أجاز النصارى حلول الكلمة في السيدة مريم العذراء واتحاد هذه الكلمة بجسد السيد المسيح فبماذا يُنزّه الباري تعالى عن مخالطة الأجساد ومباشرتها وأن يتركب معها فيأتي منها جسم مأكول أو مشروب أو ملموس أو مدرك ويستحيل في ذاته ويتغير، فإن قال النصارى أن هذا مستحيل نقول لهم: وهذا بعينه موجود في حلول الكلمة في السيدة مريم واتحادها في جسد المسيح عليه السلام.[3]

6- إذا ثبت الامتياز الحقيقي بين الأقانيم فالأمر الذي حصل به هذا الامتياز إما أن يكون من صفات الكمال أو لا يكون، فعلى الشِّق الأول لم يكن جميع صفات الكمال مشتركاً فيه بينهم، وهو خلاف ما تقرر عندهم أن كل أقنوم من هذه الأقانيم متصف بجميع صفات الكمال، وعلى الشق الثاني فالموصوف به يكون موصوفاً بصفة ليست من صفات الكمال، وهذا نقصان يجب تنزيه الله عنه.[4]

---

(1) انظر: المرجع السابق، ص192.

(2) انظر: الهمذاني (القاضي عبد الجبار)، المغني في أبواب العدل والتوحيد، تحقيق: محمود محمد قاسم، مراجعة: د. إبراهيم مدكور، 2/98، والهندي، إظهار الحق، 3/726، والحاج، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص243، وجديد، وحدانية الثالوث في المسيحية والاسلام، 2.

(3) انظر: الحنفي، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، ص94.

(4) الهندي، إظهار الحق، 3/726.

7- لو كان الأقانيم الثلاثة ممتازة بامتياز حقيقي وجب أن يكون المميّز غير الوجوب الذاتي، لأنه مشترك بينهم، وما به الاشتراك غير ما به الامتياز فيكون كل واحد منهم مركباً من جزأين وكل مركب ممكن لذاته، فيلزم أن يكون كل واحد منهم ممكناً لذاته.(1)

8- الاتحاد بين الجوهر اللاهوتي والناسوتي إذا كان حقيقياً كان أقنوم الابن محدوداً متناهياً، وكل ما كان كذلك فإن قبوله للزيادة والنقصان أمراً ممكناً، وإذا كان الشيء على هذه الصفة فإن اختصاصه بهذا التقدير المعين إنما هو بتخصيص مخصص وتقدير مقدر، وكل ما كان على هذه الصفة فلا بد أن يكون محدثاً، فعلى هذا التقدير يلزم أن يكون اقنوم الابن محدثاً، وذلك يستلزم حدوث الله تعالى، واللازم باطل فكذلك الملزوم.(2)

9- الآب في عقيدة النصارى إما أن يكون هو الابن أو غيره، فإن قالوا: إن الآب هو غير الابن سُئلوا: من الملتحم في مشيمة مريم المتحد مع طبيعة المسيح؟ أهو الآب أم الابن؟ فإن قالوا: هو الابن فقد بطل أن يكون هو الآب، ويكونون بذلك قد خالفوا يوحنا في إنجيله إذ يقول: [وكان الكلمة الله] (يوحنا: 1/1) فإذا كان الكلمة هو الله والتحمت المشيمة في مشيمة مريم فالله تعالى نفسه يكون قد التحم في مشيمة مريم، وعند النصارى الابن هو الذي التحم.(3)

10- إننا نلمس في صفات السيد المسيح بوصفه بشراً ما يبعد به بشكل كبير عن مقام الألوهية، فإذا كان السيد المسيح مولوداً، وهذا ما أجمعت عليه الأناجيل فهو لم يكن قبل أن يولد، فمعنى هذا أن أحد أركان الثالوث وهو عيسى لم يكن موجوداً قبل ولادة عيسى، فكيف يكون الله ثلاثة علماً بأن أحد الثلاثة كان غير

---

(1) انظر: الهندي، إظهار الحق، 727/3، والآلوسي، الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح، ص192.

(2) انظر: المرجع السابق الصفحة نفسها.

(3) انظر: الأندلسي (علي بن أحمد بن سعيد بن حزم)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط2، 1996م، 53/1.

موجود؟، فلقد كان السيد المسيح مع الناس وعلى الأرض، والآب في السماء، فكيف يكون الاثنان واحد؟ وكيف يكونا متحدين وهما اثنان؟.(1)

أهم النتائج المستخلصة من البحث:

1- النصرانية الحاضرة في أيامنا هذه لا تمت إلى السيد المسيح بأي صلة، وهذه الحقيقة تظهر جلياً عندما نقوم بأدنى مقارنة بين التعاليم التي جاء بها السيد المسيح عليه السلام وبين النصرانية الحالية.

2- تكونت أركان النصرانية المعاصرة بعد رحلة طويلة وأطوار متعددة عاشتها، بدءاً بالانحراف الأول بعد رفع السيد المسيح ومروراً بعصور الاضطهاد وتدخّل الفلسفات وانتشار الوثنيات ثم أخيراً وانتهاءً بالمجامع النصرانية التي قررت العقائد والشرائع.

3- لو أمعنا النظر في الأناجيل لرأينا أنها لا يمكن أن تكون سنداً للديانة المسيحية، بل هي أوهى من ذلك بكثير؛ وذلك لما مرت به من تحريف ولما فيها من تناقضات واختلافات

4- المجامع النصرانية كانت الأخطر وذات الأثر الأبرز في تغيير عقائد النصارى.

5- ما جرى على يدي السيد المسيح عليه السلام من الأمور التي ليست باستطاعة البشر أن يأتوا بمثلها ما هي إلا معجزات أيد الله تعالى بها رسوله السيد المسيح مصداقاً لنبوته، لكن لمس متأخرو النصارى في هذه المعجزات ما يفوق العقل البشري، فلم يجدوا لذلك من تفسير سوى أن ينسبوا الألوهية للسيد المسيح.

6- أحاط بمفهوم الثالوث الكثير من الغموض، ولقد كان آباء الكنيسة كلٌّ يفسره كما يريد، والبعض منهم كان يعترف بأن هذه العقيدة غير مفهومة، وبعضهم الآخر كان يهرب من الحقيقة والاعتراف بالعجز والقصور عن فهم فلسفة الثالوث مدّعياً أن الثالوث إنما هو سر لاهوتي وهو فوق متناول العقل البشري.

---

(1) انظر: الخولي، حقيقة عيسى المسيح، ص26.

7- عند التدقيق في قضية ألوهية السيد المسيح فإنه يتضح فساد هذا المعتقد، فبالرغم من اختلاف النصارى في هذه القضية واختلاف أقوالهم في طبيعة السيد المسيح مع ذلك فكلُ منهم يقول إنه إنسان تام، حُمل به وولد، وهذه صفة الإنسان الضعيف المفتقر إلى ربه لا صفة إله قوي متين.

8- جميع ما تحتجُّ به الكنيسة على مسألة التثليث باطل؛ فهو إما لا يصح في ذاته فيكون مجرد وهم أو أسطورة أو خرافة وثنية مزيفة، أو يكون دليل لا حجية فيه لصالح ما تزعمه الكنيسة؛ لعدم وجود علاقة بينه وبين النتيجة التي يريد النصارى استنتاجها منه.

9- المسيحيون الذين عاشوا في النصف الأول من القرن الميلادي الأول ما كانوا يعرفون شيئاً من التحريفات الباطلة التي ألصقتها بالعقيدة دعاة الوثنية وجهود بولس الرسول، فالواضح من هذا الأمر أنهم ما كانوا يختلفون في أمر السيد المسيح في كونه عبد الله ورسوله.

10- اكتشاف نشوء الكثير من الأمور الواردة في العهد الجديد من أصل تاريخي مزيف يمنع تصديق ما ورد فيه، فالتثليث مثلاً رأيناه موجوداً عند كثير من الوثنيات القديمة كالبراهمية والميثراسية ووثنيات مصر القديمة قد حوت فكرة التثليث.

11- تبيَّن أثناء هذه الدراسة استحالة أن يكون السيد المسيح ابناً لله تعالى، وذلك بما ثبت من أن البنوة تقتضي التشابه في كل النواحي من الجنس والصفات وغيرها، لكن النصارى يعترفون أن الابن غير مساوٍ للآب في المرتبة، وأنه يأتي في الدرجة الثانية.

12- قضية ألوهية الروح القدس إرتأرتها المجامع الكنسية عام 381م في مجمع القسطنطينية، وقبل ذلك لم يكن من المقرر أنه إله، وبقيت بعض الأسئلة تدور حوله، من أين انبثق؟ هل هو من الآب أم من الابن أم من كلاهما معاً؟ من أجل ذلك انعقد مجمع طليطلة بإسبانيا سنة 589م، الذي قرر ترسيخ فكرة

الإيمان بألوهية الروح القدس بادعاء أنه منبثق من كلٍ من الآب والابن، دون وجود أي دليل أو برهان على ذلك.

أهم التوصيات المقترحة:

1- من الضروري أن تتجه الدراسات الحديثة إلى الديانة النصرانية، تحليلاً وتفصيلاً ومقارنةً ونقداً، وأن تنحصر دوافع هذه الدراسات في (بيان الحق الذي أنزله الله)، وتلك هي المهمة الدعوية للباحث المسلم.

2- من المهم أيضاً متابعة الخط الذي سار فيه هذا البحث بإجراء دراسة بالأدلة النقلية لقضية البحث، بدراسة "تأصيل قضية التوحيد بالدليل النقلي عند النصارى"

3- لا تزال الكثير من المحاور العقائدية في النصرانية بحاجة إلى بحث علمي دقيق، كمثال مسألة "قوانين الإيمان النصرانية وأثرها في العقيدة".

4- دراسة القضايا التاريخية التي تخص قضية التوحيد في تاريخ النصرانية، كدراسة "تيار التوحيد في تاريخ المسيحية وتطوره"؛ إذ هذه الدراسة التاريخية لا تقل أهمية عن الدراسة العقائدية.

5- أن تكون الدعوة إلى الاسلام على مستوى عالٍ من الكفاءة وبأرقى وسائل الإعلام، وبمختلف اللغات الأجنبية، حيث تُعرَض المبادئ الإسلامية عرضاً واضحاً صادقاً لا زيف فيه ولا إسراف، متبعين في ذلك المنهج القرآني والمسلك النبوي في الدعوة إلى الإسلام، حتى يستجيب الناس للدعوة في صدق وإخلاص.

6- يجب على الدعاة أن يأخذوا بعين الاعتبار استخدام الأساليب الدعوية العصرية، وفي المرتبة الأولى إنشاء هيئة دعوية تتضمن مجالس موزعة على مَهَام معينة، تهتم بتأسيس الصحف والمجلات في دول الغرب وتكون مهمتها نشر الإسلام، وتقوم أيضاً بالاتصال بالعلماء والأدباء الغربيين واطلاعهم على الإسلام، والتعاون مع الغربيين من مختلف الأديان الذين اعتنقوا الإسلام، والاستعانة بهم في نشر الدعوة في أقوامهم.

المراجع العربية:

1. الآلوسي، نعمان بن محمد، الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح، تحقيق: أحمد حجازي السقا، (القاهرة: دار البيان العربي، 1987م)، ط1.
2. باركلي، وليم، تفسير العهد الجديد – رسالة رومية، ترجمة: منيس عبد النور، (القاهرة: دار الثقافة المسيحية).
3. الباقلاني، التمهيد، (بيروت: دار يوسف مكاراتي1957م).
4. براون، باربارا، نظرة عن قرب في العقائد المسيحية، ترجمة: مناف حسين الياسري، (كندا: دار نشر توحيد، 1993م).
5. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، (جدة: مكتبة المدني).
6. جديد، إسكندر، وحدانية الثالوث في المسيحية والإسلام، (القاهرة: مكتبة كنيسة مارجرجس).
7. الحاج، محمد أحمد، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، (دمشق: دار القلم، 1992م)، ط1.
8. الحنفي، محمد بن صفي الدين، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد سعيد دمشقية، (الرياض: دار السلام).
9. ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد بن سعيد، الفصل في الملل والأهواء والنحل، (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1996م)، ط2.
10. الخولي، محمد علي، حقيقة عيسى المسيح، (المكتبة الوطنية، 1990م)، ط1.
11. الريّس، علي، نفي ألوهية الروح القدس، (دار هادف للنشر والتوزيع).
12. أبو زهرة، محمد بن أحمد، محاضرات في النصرانية، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1966م)، ط3.
13. سعيد، حبيب، تاريخ المسيحية، (القاهرة: دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، 1959م) ط2.
14. السقا، أحمد حجازي، أقانيم النصارى، (القاهرة: دار الأنصار).
15. سلسلة دراسات آبائية، الروح القدس عند الآباء، (القاهرة: مكتبة كنيسة مارجرجس).

16. سلطان، سلطان عبد الحميد، المجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية، (مطبعة الأمانة، 1990م)، ط1.
17. سمعان، عوض، الله ذاته ونوع وحدانيته، (القاهرة: دار الثقافة المسيحية)، ط1.
18. سمعان، عوض، طريق الخلاص، (القاهرة: دار الثقافة المسيحية)، ط2.
19. شلبي، رؤوف، أضواء على المسيحية، (صيدا: المكتبة العصرية، 1975م).
20. شلبي، رؤوف، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، (دار الاعتصام).
21. عبد الرحمن، محمد حسن، براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح، (دار الكتاب الحديث، 1989م).
22. عبد المحسن، أحمد، الروح القدس في عقيدة النصارى، (دار الاعتصام).
23. عجيبة، أحمد، الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه، (القاهرة: دار الآفاق العربية)، ط1.
24. العقلأ، سارة، التثليث ومنهج ابن تيمية في ابطاله، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، 1423هـ، العدد: 25.
25. العلمي، عبد الله، سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية، (بيروت: دار المكشوف1390هـ)، ط1.
26. الفاوي، عبد الفتاح أحمد، المسيحية بين النقل والعقل، (القاهرة: كلية دار العلوم، 1992م)، ط1.
27. الكيرانوي الهندي، محمد رحمت الله بن خليل الرحمن، إظهار الحق، تحقيق: محمد خليل ملكاوي، (السعودية: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، 1989م)، ط1.
28. مرجان، محمد مجدي، الله واحد أم ثالوث، (مكتبة النافذة، 2004م)، ط2.
29. مرجان، محمد مجدي، المسيح إنسان أم إله، (القاهرة: دار النهضة العربية).
30. مير، ساجد، المسيحية دراسة وتحليل، (الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع).
31. الناشئ الأكبر، الأوسط في المقالات، (بيروت: دار صادر، 1971م).
32. الهمذاني، القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب العدل والتوحيد، تحقيق: محمود محمد قاسم، مراجعة: د. ابراهيم مدكور.

33. الهيئة القبطية الإنجيلية، علم اللاهوت النظامي، (القاهرة: دار الثقافة المسيحية، 1971م)، ط1.
34. وصفي، محمد، المسيح والتثليث، (القاهرة: دار الفضيلة).
35. ويند، إدغار، ويونغ، كارل غوستاف، الأصول الوثنية للمسيحية، ترجمة: سميرة عزمي الزين، (منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية).
36. اليسوعي، بولس إلياس، يسوع المسيح، (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1965م).

المراجع الأجنبية:

1. Augustine, The city of God (London: Every man`s Library, 1945)
2. Josev hastings, Dictionary of the Bible, (Edinburgh: 1963).
3. Lecky, History of European Morals, (London).
4. Stweetman, Islam And Christian Theology ،(London ،1945).
5. T.k.chenyl & J.S. black, *Encyclopaedia Biblicca* (London ،1899)